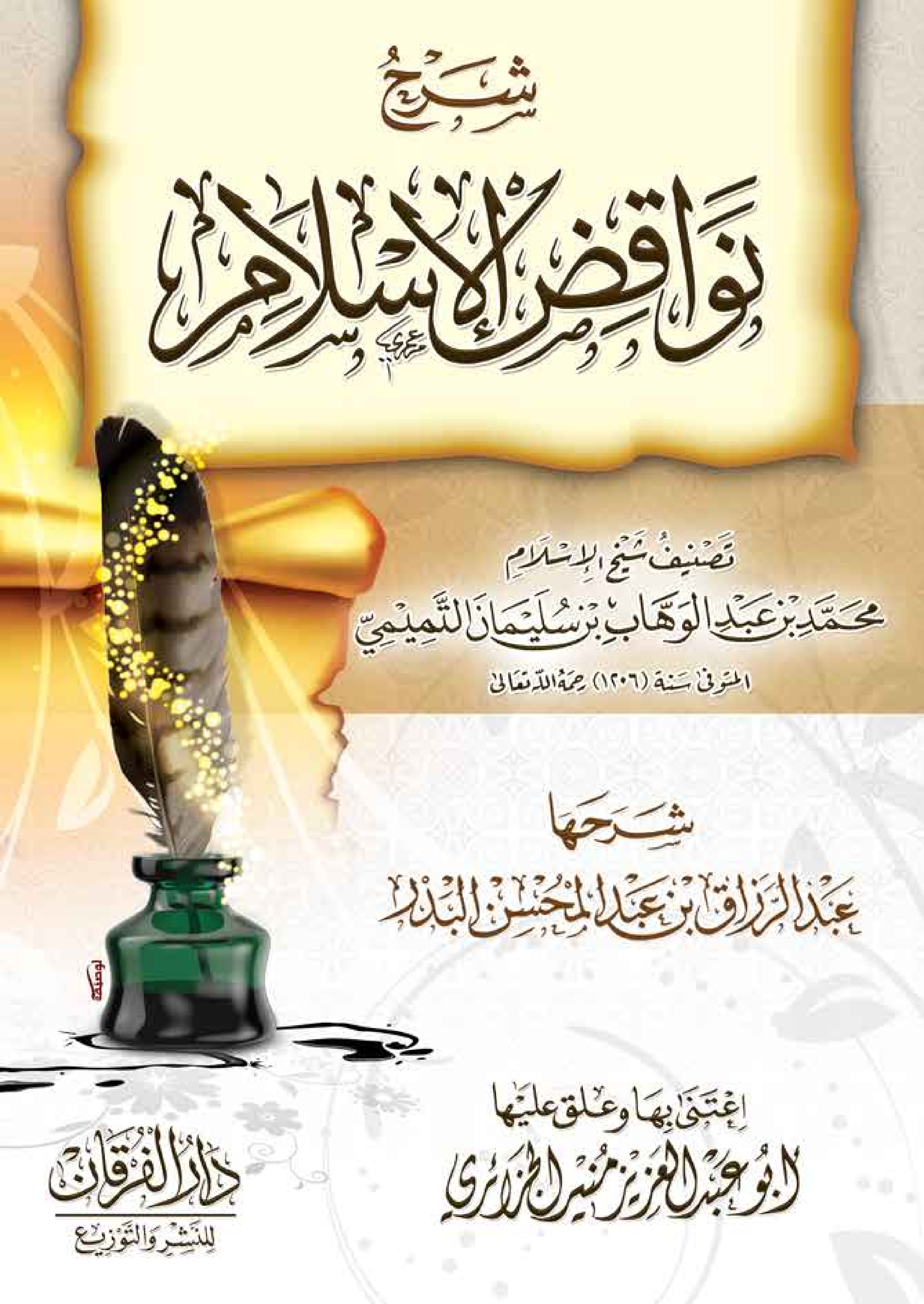

شرح
نواقض الإسلام
تصنيف شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى
شرحها
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
اعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري
دار الفرقان
للنشر والتوزيع


شرح
نواقض الإسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٤٠ – ٢٠١٩

دار الفرقان للنشر والتوزيع -١٤٤٠/٢٠١٩

ردمك : ٩٧٨-٩٩٣١-٦١٦-٥٧-٣

الإيداع القانوني: السداسي الأول، ٢٠١٩

Dar Al-furquan Edition. 2019

ISBN: 978-9931-616-57-3

Dépôt Légal: 1er semestre. 2019

ISBN 978-9931-616-57-3

9789931616573

دار الفرقان للنشر والتوزيع

٢٠ شارع أحمد حسينة – بجوار مسجد السنة –

باب الوادي الجزائر (العاصمة)

جوال: ٠٥٥٦٩٦٥٨١٠ (٠) ٢١٣ ٠٠

dar.alfurquan@gmail.com



شرح

نواقض الإسلام

تصنيف شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شرحها

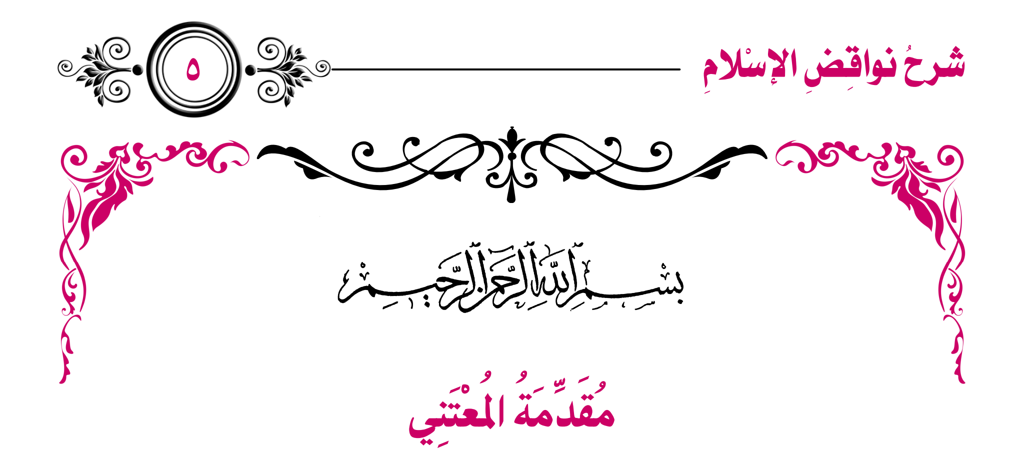
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ المعْتَنِي

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعدله ضلَّ الضَّالون، أحمده سبحانه حمد عبد نزَّه ربَّه عما يقول الظَّالمون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسبحان الله ربِّ العرش عمَّا يصفون، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبده ورسوله وخليله الصَّادق المأمون، اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه الَّذين هم بهديه مستمسكون، وعلى هديه سائرون.

أمَّا بعد:

فإنَّه «لا صلاح للعباد، ولا فلاح ولا نجاح، ولا حياة طيِّبة ولا سعادة في الدَّارين، ولا نجاة من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة، إلَّا بمعرفة أوَّل مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الَّذي خلقهم الله عز و جل له، وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدُّنيا والآخرة، والجنَّة والنَّار، وبه حقَّت الحاقة ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصُّحف، وفيه تكون الشَّقاوة

والسَّعادة، وعلى حسب ذلك تُقسم الأنوار ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[النور: ٤٠]»[١].

وفي المقابل فإنَّ أعظم الذُّنوب الشرك بعلَّام الغيوب جل جلاله، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَي الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ « أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ»[٢].

وهو أكبر الكبائر، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» (ثَلاَثًا).

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ..»[٣].

فلهذا فإنَّ التوحيد أعظم وأكرم ما يعتني به العبد المسلم، والشرك أكبر وأخطر ما يهابه ويخافه على نفسه.

وقد تنوَّعت كتابات علماء أهل السنَّة في هذا الموضوع بين مطوِّل ومختِصر، ومن بين هؤلاء العلماء الفضلاء الأجلاء الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ «فشمَّر عن ساعد جدّه واجتهاده؛ وأعلن بالنُّصح لله ولكتابه ورسوله، وسائر عباده، دعا إلى ما دعت إليه الرُّسل، من توحيد الله

---

(١) «معارج القبول» (١/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

وعبادته، ونهاهم عن الشِّرك، ووسائله وذرائعه؛ فالحمد لله الَّذي جعل في كلِّ زمان من يقول الحقّ، ويرشد إلى الهدى والصِّدق، وتندفع بعلمه حجج المبطلين، وتلبيس الجاهلين المفتونين»(١).

وقد كتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديد من الكتب والرسائل نُصحا للأمَّة فيما ينفعها، وتحذيرا لها فيما يضرّها في دينها ودنياها، فجزاه الله خير الجزاء.

ومن هذه الكتب المذكورة، والرسائل المشهورة (**نواقض الإسلام**)، وهو بحث نافع لطيف، ماتع منيف، له المكانة العالية، والمنزلة الغالية عند العلماء وطلبة العلم، لذا حفظوه وفي المجالس شرحوه.

وَمِمَّا زاد هذه المتن نفعًا - بإذن الله - شرح شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

ومِنْ باب التَّعاون على نشر العلم النَّافع، والسَّعي في تعميمه للحاجة الماسَّة إليه، قُمْت بالاعتناءِ بهذه الرِّسالة؛ وَأَصْلها دروس للشَّيخ فُرِّغت؛ فاستأذنْتُه في إخراجها في كُتيِّب، فما كان مِنَ الشَّيخ حفظه الله إلَّا الموافقة والتَّشجيع، فجزاه الله خيرًا. (٢)

ومَا كَانَ مِنِّي إِلَّا التَّهذيب و التَّرتيب، والتَّوثيق والتَّدقيق، بَلْ حَاوَلْتُ

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ١٦).

(٢) كان ذلك في بيته بالمدينة النَّبويَّة، يوم الأربعاء ٢ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ، الموافق لـ ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٧م.

المُحَافَظَة على كلام الشَّيخ بِحُرُوفِه إِلَّا مَا يَقْتَضِيه المَقَامُ مِنْ إِضَافَة مَا يُربط به الكَلَام لِتَمَامِ المَعْنى مع التَّعليق على بعض المواضع منها.

سائلًا الله ﷻ أنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يجزي خير الجزاء كل من أسهم في إخراجه للمنتفعين، إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr





مُقَدِّمَةُ الشَّارِح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فهذا تعليق مختصر لرسالة قيمة للإمام المصلح المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، عنوانها: (نواقض الإسلام)، وقد كتبها ناصحًا ومحذرًا؛ لأن المسلم كما أنه مطالب بمعرفة الحق والهدى ليحبه ويسلكه فإنه مطالب أيضًا بمعرفة الباطل والضلال والردى ليبغضه ويجتنبه، والله سبحانه وتعالى بيَّن في القرآن سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، وأعمال المؤمنين وأعمال المجرمين، وأوصاف هؤلاء وأوصاف هؤلاء، وعاقبة هؤلاء وعاقبة هؤلاء، وما أعده للمؤمنين من الثواب العظيم، و للمجرمين من العذاب الأليم.

ولهذا فإن المسلم كما أنه مطالب بمعرفة الحق ليسلكه فهو كذلك مطالب بمعرفة الباطل ليجتنبه، ومن لم يعرف الباطل ربما وقع فيه من حيث لا يشعر، وقد جاء في «الصحيحين» أن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**»[١].

وقد قيل:

عرفــت الشــرَّ لا للشــرِّ ولكــن لتوقِّيــه

ومــن لــم يعــرف الشــرَّ مــن النــاس يقــع فيــه

وقيل أيضًا: «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟!».

أي: كيف يتقي المحرمات ويجتنب المنكرات، وهو لا يعرفها، ولا يعرف خطورتها، ولا يعرف العقوبات التي وردت في نصوص الشرع محذرة منها؟![٢]

فالله عَزَّ وَجَلَّ أمرنا باتقاء الشرك والكفر والباطل والضلال، ولا يتسنى للعبد اتقاء ذلك إلا بعد أن يعرفه، ولهذا كتب أهل العلم في المكفرات، وفي محبطات الأعمال، وكتبوا عن الشرك، وعن الكفر، وعن النفاق، وكتب

---

(١) رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) انظر: «شرح الدروس المهمة لعامة الأمة» (ص٢١٢)، لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله تعالى.

الأحكام يعقد فيها باب في الردة وما يرتد به الإنسان عن الدين، وكذلك كتب العقائد بُسطت فيها هذه المسائل، بل أفرد أهل العلم في هذا مصنفات.

وكتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كعادته في مصنفاته ورسائله فيما تمس إليه الحاجة، وكان يكتب أيضًا في حدود الحاجة، فتأتي رسائله دائمًا مختصرة ووافية ونافعة للغاية، فقد نفع الله سبحانه وتعالى بها نفعًا عظيمًا.

وهذه الرسالة المسماة بـ (نواقض الإسلام) كتبها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفحتين تقريبًا لكنها حوت على معاني عظيمة في هذا الباب: على أهم ما ينبغي أن يُعرف، فذكر عشرة نواقض، وذكره لها ليس للحصر، ولكنه ذكر أمهات النواقض وما ترجع إليه النواقض الأخرى التي لم تُذكر، ويمكن أيضًا أن ترجع إلى أربعة نواقض:

الناقض الأول: ما ينتقض به الدين مما يتعلق بالقلوب.

الناقض الثاني: ما ينتقض به الدين مما يتعلق بالأقوال.

الناقض الثالث: ما ينتقض به الدين مما يتعلق بالأفعال.

الناقض الرابع: انتقاض الدين بالشك.

وهذا الموضوع تمس الحاجة لمعرفتها ليكون المسلم منها على حذر.

وبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته بقوله: «**اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض**» كما سيأتي.

فاختار هذا الاسم: نواقض الإسلام، ويمكن أن تُسمَّى: ما يرتد به الإنسان عن الدين، أو الأمور المخرجة عن الملة، أو التي يكفر من وقع فيها، فيمكن أن تسمى بعدة أسماء، واختيار الشيخ لهذا الاسم له فيه سلف من أهل العلم والأئمة، وهي لفظة درج أهل العلم على استخدامها في هذا الباب، وهو استخدام صحيح في محله من حيث المعنى اللغوي، ومن حيث المدلول الشرعي.

والنواقض: جمع ناقض، من النقض الذي هو ضد الإبرام، والنقض للشيء إفساد له، فنقض الشيء المبرم إفساد لإبرامه، ولهذا يقال: نقض الغزل أو نقض الحبل أو نقض البناء أو نقض البيت، كل ذلك يراد به الإفساد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[النحل: ٩٢]، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾[البقرة: ٢٧]، ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[النحل: ٩١].

ونقض الدين أو نقض الإسلام أو نقض الإيمان فعل شيء يفسده ويبطله، ولهذا الناقض للدين أو الإسلام لا تطلق هذه الكلمة إلا في حق ما من شأنه إبطال الدين إذا وقع وإفساده، ولهذا قال أهل العلم: الإسلام له نواقض وله نواقص. والنواقض هي التي تفسده وتبطله تمامًا، والنواقص هي التي تخل بكماله الواجب، ويقال أيضًا: قوادح، وهذه

الكلمة تطلق على النواقض وعلى النواقص؛ لأن القوادح منها ما يقدح في الأصل فتكون ناقضًا للدين، ومنها ما يقدح في الكمال الواجب فتكون منقصة له، ولكل منهما يقال له: قوادح.

وأما النواقض فهي التي تنقض الدين وتبطله ويكون صاحبها أو فاعلها أو مرتكبها خارجًا من ملة الإسلام ومن حظيرة الدين ومرتدًا وكافرًا بالله العظيم، وإذا مات على ذلك يكون يوم القيامة من أهل النار، وينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وهذه في حق من يموت ويلقى الله سبحانه وتعالى وهو مرتكب لناقض من نواقض الدين.

ولهذا كان من الأهمية بمكان والحاجة شديدة والضرورة ملحة إلى أن يعرف كل مسلم نواقض الدين ليحذر منها هو في نفسه، وليحذر منها من تحت يده، وينصح الناس من هذا الجرم الذي هو أكبر جرم، ومن هذا الذنب الذي هو أعظم ذنب، ولهذا تعد هذه الرسالة ونظائرها مما كتبه أهل العلم في هذا الباب رسالة مهمة للغاية، يحتاج كل مسلم إلى معرفتها.

وبين يدي دراسة هذه الرسالة أذكر كلامًا كنت كتبته سابقًا في كتابي «فقه الأدعية والأذكار»[١]، حول بيان أهمية معرفة المسلم لنواقض

---

(١) (١/ ١٧٢).

الإسلام وحاجته الشديدة إلى ذلك، جعلتها في المقدمة بين يدي ذكر نواقض الإسلام العشرة:

وإنَّ مما ينبغي أن يهتم به المسلم في هذا الباب العظيم معرفة نواقض هذه الكلمة ليكون منها في حذر، فإنَّ الله تبارك وتعالى قد بيّن في كتابه سبيل المؤمنين المحقّقين لهذه الكلمة مفصّلة، وبيّن سبيل المجرمين المخالفين لها مفصّلة، وبيّن سبحانه عاقبة هؤلاء وعاقبة هؤلاء، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء، والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلا سبحانه الأمرين في كتابِه وكشفَهما وأوضحَهما وبيّنَهما غايةَ البيانِ، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ [الأنعام: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، ومن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبِن له طريقهم أوشك أن يقع في بعض ما هم فيه من الباطل، ولذا قال أمير المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنَّما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية).

ولهذا جاءت النصوص الكثيرةُ في الكتاب والسنة المحذرةُ من أسباب الرِّدة وسائر أنواع الشرك والكفر المناقضة لكلمة التوحيد لا إله إلا الله، وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- في باب حكم المرتدّ من كتب الفقه: أنَّ

المسلم قد يرتدُّ عن دينه بأنواعٍ كثيرةٍ من النواقض إذا وقع فيها، أو في أيِّ شيء منها ارتَدَّ عن الدِّين وانتقل من الملّة، ولم ينفعه مجرّد التلفّظ بـ «لا إله إلا الله»؛ إذ إنَّ هذه الكلمة العظيمة التي هي خير الذِّكر وأفضله لا تكون نافعة لقائلها إلا إذا أتى بشروطها واجتنب كلَّ أمرٍ يُناقضها.

وما من ريب أنَّ في معرفة المسلم لهذه النواقض فائدة عظيمة في الدين، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور، والنجاة من تلك الآفات، ولهذا فإنَّ من عَرَفَ الشركَ والكفرَ والباطلَ وطرقَه وأبغضها وحذرها وحذّر منها ودفعها عن نفسه ولم يدعها تخدش إيمانه، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له، وكراهة لتلك الأمور ونفرةً عنها كان له في معرفته هذه من الفوائد والمنافع ما لا يعلمه إلا الله، والله سبحانه يُحبُّ أن تُعرف سبيلُ الحق لتُحب وتُسلك، ويحب أن تُعرف سبيل الباطل لتُجتنب وتُبغض؛ إذ المسلم كما أنَّه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبّقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سبل الشر ليحذرها، كما سبق في حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذ كان الأمر بهذه الحال وعلى هذا القدر من الأهمية فإنَّ الواجب على كلِّ مسلم أن يعرف الأمور التي تناقض كلمة التوحيد لا إله إلا الله ليكون منها على حذر، وهي كما تقدّم تنتقض بأمورٍ كثيرةٍ، إلا أنَّ أشدَّ هذه النواقض خطرًا وأكثرها وقوعًا عشرةُ نواقض ذكرها غيرُ واحد من

أهل العلم -رحمهم الله-[١].

وهذا الكلام جله مخلص من كتاب «الفوائد» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت عنوان: «قاعدة جليلة أهل الهدى وأهل الضلال»[٢]، وأورد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ [الأنعام: ٥٥]، وأيضًا قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله عَزَّوَجَلَّ بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلًا، وبين سبيل المجرمين مفصلًا، وبين عاقبة هؤلاء وعاقبة هؤلاء، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء، كل ذلك جاء مبينًا في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

ثم إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار إلى أن الناس في هذا الموضع الذي هو معرفة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين ينقسمون إلى أربعة فرق:

الفرقة الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علمًا وعملًا، وهؤلاء أعلم الخلق.

---

(١) انظر: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٢٣٢ وما بعدها)، «فقه الأدعية والأذكار» (١/ ١٧٢).

(٢) «الفوائد» (ص١٤٢).

الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المؤمنين أحضر ولها أسلك.

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها، فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل، وإن لم يتصوره على التفصيل، بل إذا سمع مما خالف سبيل المؤمنين صرف سمعه عنه ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفته ومعرفة وجه بطلانه، وهو بمنزلة من سلمت نفسه من إرادة الشهوات، فلم تخطر بقلبه ولم تدعه إليها نفسه بخلاف الفرقة الأولى فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها... إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة وسبيل المجرمين مجملة، وهذه حال كثير ممن اعتنى بمقامات الأمم ومقامات أهل البدع فعرفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول ﷺ كذلك، بل عرفه معرفة مجملة وإن تفصلت له في بعض الأشياء.

وكما أن المسلم مطالب بمعرفة الحق وسبيل أهل الإيمان والهدى ليسلك ذلك، فإنه أيضًا مطالب بمعرفة الباطل وسبيل أهله ليكون منه على حذر، ولهذا الغرض كُتبت مثل هذه الرسائل في بيان نواقض الدين أو بيان الأمور التي يرتد بها الإنسان، وكذلك كُتبت الكتب التي في البدع وفي الكبائر، كل ذلكم كُتب من أجل أن يعرفه الإنسان ليبغضه وليكون منه

على حذر[١].

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



(١) ينبغي للمسلم أن يخاف على نفسه أشد الخوف من الوقوع في هذه النواقض والعياذ بالله، وأن يسأل الله تبارك وتعالى دوما وأبدا أن يعيذه من الكفر والشرك والنفاق، ومن موجبات سخطه وأليم عقابه، وقد جاء عن نبينا ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلاَثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلاَثًا حِينَ تُمْسِي**»، والأدعية في هذا المعنى عنه صلوات الله وسلامه عليه كثيرة، ومن ذلك تعليمه ﷺ لأصحابه أن يقولوا: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أُشركَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفرُك لِما لا أعلم**».

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

«اعلم أن نواقض الإسلام عشرة».

الشرح

قوله: «بِسْم الله الرحمـٰن الرحيم»: بدأ هذه الرسالة بالبسملة تأسيًا بكتاب الله عز وجل، وبهدي نبينا صلوات الله وسلامه عليه في مراسلاته ومكاتباته ﷺ، والبسملة المراد بها الاستعانة، والبدء باسم الله تيمنًا وتبركًا بذكر اسمه جل وعلا، وطلبًا للمد والعون منه سبحانه.

والباء في بِسْم الله باء الاستعانة، والمعنى: أبدأ كتابي هذا مستعينًا بالله، قائلًا بِسْم الله، فهي كلمة استعانة، ولهذا يُشرع للمسلم أن يقولها في دخوله، وفي خروجه، وعند تناوله لطعامه، وعند قراءته لكتاب الله عز وجل، وفي مواضع عديدة جاءت بها السنة، فيأتي بها طالبًا البركة والمد والعون والتوفيق من الله جل وعلا.

قوله: «اعلم»: جرت عادة الشيخ في أغلب رسائله أن يبدأ بهذه الكلمة: اعلم، وهي كلمة يؤتى بها بين يدي الأمور العظيمة الكبيرة المهمة التي يحتاج إليها كل مسلم، وفي القرآن مواضع عديدة تُبدأ بهذه الكلمة، مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، فيؤتى

بها بين يدي الأمور العظيمة استدعاء للسمع، وشدًا للانتباه وإحضارًا للقلب، وتنبيهًا للسامع أن ما سيلقى عليه من العلم أمر عظيم يحتاج إلى إصغاء وانتباه وحسن استماع، ولهذا بدأ ذلك بقوله: اعلم، أي سيلقى عليك أمر عظيم من أبواب العلم يحتاج منك إلى انتباه وإلى عناية ورعاية.

قوله: «أن نواقض الإسلام عشرة»: عرفنا أن التعبير بنواقض في المكفرات وما يرتد به المسلم عن دينه تعبير سديد، ودرج عليه السلف – رحمهم الله– في هذا الباب، وهناك أثر عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال: «تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية»[1].

وهناك أثر آخر لابن عباس ﵄ في هذا الباب استعمل هذه اللفظة

---

(١) ذكره بهذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٠١)، والإمام ابن القيم في «الفوائد» (ص١٤٢) بهذا اللفظ.

رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣١٣٩)، والحاكم في «مستدركه» (٨٣١٨) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٢٥) بلفظ:

«قدْ عَلِمْت وَرَبِّ الْكَعْبَةِ مَتَى تَهْلِكُ الْعَرَبُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: مَتَى يَهْلِكُونَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: حِينَ يَسُوسُ أَمْرَهُمْ مَنْ لَمْ يُعَالِجْ الْجَاهِلِيَّةَ وَلَمْ يَصْحَبِ الرَّسُولَ ﷺ».

فقال: «القدر: نظام التوحيد، فمن وحد الله تعالى وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحد الله تعالى وكذب بالقدر، فإن تكذيبه بالقدر نقض للتوحيد»[١].

والشاهد أن اللفظ درج أهل العلم على استعماله من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان في الأمور التي يكفر بها المرء ويخرج بها من الدين.

وهنا أيضًا وجه مشابهة بين إطلاق النواقض على هذه الأمور والنواقض على مفسدات الوضوء، فتجد في كتب الأحكام يقال: نواقض الطهارة، وأن الطهارة تنتقض بكذا وكذا، وهناك ارتباط بين الطهارة والتوحيد، والله عز وجل قال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤]، وأهل العلم في معنى الآية قالوا: طهر ثيابك أي بتوحيد الله، وإخلاص الدين له، وقيل: من النجاسات، وكما أن الطهارة تنتقض بالوقوع في شيء من نواقضها المعلومة كخروج الريح أو البول أو نحو ذلك، فإن التوحيد ينتقض بحصول شيء من نواقضه المعلومة المبينة في كتب التوحيد وأيضًا في كتب الأحكام.



---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٤٥٦)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٢٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٢٢٣).

المَتْنُ

«الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر».

الشَّرْحُ

قوله: «الأول: الشرك في عبادة الله تعالى»: بدأ المصنف بالشرك لأنه أخطر النواقض، وأعظم ذنب عصي الله تبارك وتعالى به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال جلا وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

فالشرك بالله هو أعظم ذنب عصي الله جل وعلا به، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه سبحانه، كالربوبية، والأسماء والصفات، أو

حقوقه، وهي أن يفرد وحده بالعبادة وأن يخص وحده بالذل والخضوع فلا يُجعل معه شريك في شيء من ذلك ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]، فكما أنه سبحانه وتعالى وحده تفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وتفرد بصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، وتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى، فإنه يجب أن يُفرد وحده سبحانه وتعالى بالعبادة.

فالشرك به أن يسوى غيره به سبحانه وتعالى في شيء من خصائصه سبحانه وشيء من حقوقه، والشرك هو التسمية والمساواة بين الشيئين في أمر ما، فمن سوى غير الله بالله في شيء من حقوق الله أو خصائص الله جل وعلا فهو مشرك بالله، كافر بالله العظيم، نقض شركه دينه وأبطل أعماله، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾[الزمر: ٦٥، ٦٦].

والشرك أظلم الظلم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وهو هضم لحقوق الله سبحانه وتعالى من العبادة والذل والخضوع، وانتقاص لجناب ربوبيته سبحانه، وسوء ظن برب العالمين، وهو أكبر الكبائر، وفي الحديث: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ»[(١)]، فهو أكبر الذنوب وأعظم الجرائم.

ولهذا بدأ المصنف به فقال: «**الشرك في عبادة الله**»: أي بأن يجعل مع الله تبارك وتعالى شريكًا في العبادة، ومن العبادة: الدعاء والاستعانة والتوكل والركوع والسجود والذبح والنذر، وغير ذلك، والعبادة حق لله على عبيده، فلا يجوز أن يشرك مع الله سبحانه وتعالى غيره في شيء منها، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن: ١٨]: أي أحد كان، ولو كان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا، أو وليًا من الأولياء، فالعبادة حق لله سبحانه وتعالى رب العالمين.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨]»: ساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ آيتين: الأولى وردت في موضعين من سورة النساء، وفيها دلالة ظاهرة على خطورة الشرك، وأنه الذنب الذي لا يُغفر لمن لقي الله سبحانه وتعالى به، وفي حق من مات على ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾: أي من مات على ذلك.

وأما الإنسان الحي المشرك فإن يغفر الله له شركه إن تاب منه، ولهذا

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

قال الله سبحانه وتعالى في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]، فالله عز وجل يغفر الذنوب جميعًا بما فيها الشرك، ولا تعارض بين قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، في هذه الآية، وقوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]؛ لأن آية [سورة النساء] في حق من مات على ذلك، وآية [سورة الزمر] في حق من تاب من ذلك[1].

فالله عز وجل يغفر الذنوب جميعًا أي للتائبين بدليل قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾: أي في حق من مات على ذلك ولقي الله جل وعلا مشركًا به، فهذا لا يغفر الله له، ولا مطلع له يوم القيامة في مغفرة الله، بل ليس له يوم القيامة إلا النار خالدًا فيها أبد الآباد.

---

(١) العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كتابه القيم «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (ص١٢٤) وضح ذلك فقال: «دلت على غفران جميع الذنوب، مع أنه دلت آيات أخر على أن من الذنوب ما لا يغفر وهو الشرك بالله تعالى.

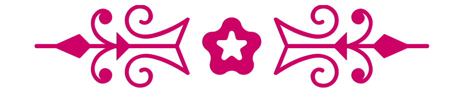
والجواب: أن الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ مخصصة لهذه، وقال بعض العلماء هذه مقيدة بالتوبة بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فإنه عطف على قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾، وعليه فلا إشكال وهو اختيار ابن كثير».

قوله: «وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]»: وهذا أيضًا فيه أن المشرك لا مطمع له في الرحمة والمغفرة، وأنه ليس له يوم القيامة إلا النار خالدًا مخلدًا فيها أبد الآباد.

قوله: «ومنه»: أي من الشرك.

قوله: «الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر»: فهذا نوع من الشرك، قال الله ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر: ٢]، وقال جل وعلا: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، ونسكي أي ذبحي.

وفي «صحيح مسلم» عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»[1].



(١) رواه مسلم (١٩٧٨).

المتن

«الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم كفر إجماعًا، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣]».

الشرح

قوله: «الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم»: هذا الناقض الثاني من نواقض الإسلام، وهو جعل الوسائط بين العبد وبين الله عز وجل لكي يتقرب إلى الله زلفى كما هو زعم المشركين هو من باب اتخاذ الأنداد والشركاء، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣][1]، ومن باب تسمية الأمر بغير اسمه، وهذه فعلة المشركين يتخذون الأنداد ويصرفون لهم حقوق الله على العباد من الذل والخضوع والذبح والنذر والدعاء ونحو ذلك، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) ومعنى الآية كما قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: لترفع حوائجنا للّه، وتشفع لنا عنده، وإلا فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئا» «تيسير الكريم الرحمن» (ص٧١٨).

﴿زُلۡفَىٰٓ﴾، أي اتخاذنا لهم هو من باب اتخاذ الوسائط، ومن ذلكم ما جاء في قوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]: أي وسائط لنا عند الله، فهذا نوع من الشرك بالله، ونوع من اتخاذ الأنداد والشركاء مع الله سبحانه وتعالى، ويسمون هؤلاء الأنداد وسائط ووسائل وشفعاء، يقربون الداعي لهم بزعمهم من الله سبحانه وتعالى.

وقد فعلوا ذلك قياسًا منهم للخالق تبارك وتعالى بالمخلوق حيث رأوا أن ملوك الدنيا والعظماء لا يتوصل إليهم من خلال الوسطاء والمقربين عندهم فقاسوا الله تبارك وتعالى بخلقه، وصرفوا لبعض خلقه شيئًا من حقوقه طامعين بأن يقربهم هذا الوسيط إلى الله تبارك وتعالى زلفى، وهذا شرك بالله تبارك وتعالى.

قوله: «ويسألهم الشفاعة»: فالشفاعة مُلك لله، قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ [الزمر: ٤٤]، ومن أراد الشفاعة فليطلبها بتوحيد الله لا باتخاذ الأنداد، ولهذا جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ

إِلاَّ اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»[١].

وفي الحديث الآخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»[٢]، فالشفاعة لله جميعًا ولا تنال إلا بتوحيده سبحانه وإخلاص الدين له.

وأما اتخاذ الوسطاء تحت مسمى الشفاعة فهذا نوع من الشرك والتنديد لا يزيد الإنسان عن الله تبارك وتعالى إلا بُعدًا.

قوله: «ويتوكل عليهم»: أي يعتمد عليهم في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء.

قوله: «كفر إجماعًا»: أي بإجماع أهل العلم أن هذا ناقض للدين ويخرج به المرء من ملة الإسلام[٣].

---

(١) رواه البخاري (٩٩).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له.

(٣) نقل الإجماع على هذا غير واحد من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

«فَمَنْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ جَلْبَ الْمَنَافِعِ وَدَفْعَ الْمَضَارِّ مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ غُفْرَانَ الذَّنْبِ وَهِدَايَةَ الْقُلُوبِ وَتَفْرِيجَ الْكُرُوبِ
=

المَتْنُ

«الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر».

الشَّرْحُ

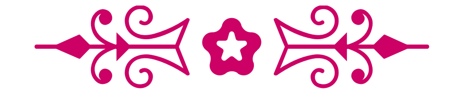
قوله: «الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر»: هذا الناقض الثالث من نواقض الإسلام، وهذه ثلاثة أمور ذكرها المصنف:

الأمر الأول: من لم يكفر المشركين، أي لا يرى كفرهم ولا يعتقد ذلك، كأن يقول مثلًا: إن اليهود ليسوا كفارًا، أو النصارى، أو المجوس، أو عبدة الأصنام ليسوا كفارًا؛ فهو بهذا لا يكفر المشركين، ولا يعتقد كفرهم ولا يقول بهذا فهذا كافر؛ لأنه لم يكفر من كفره الله، وكفره رسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة:٦]، فإذا قال قائل: لم يكفروا، فيكفر من يقول ذلك.

وَسَدَّ الفاقات: **فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ**» «مجموع الفتاوى» (١/ ١٢٤)، وانظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (ص ٤٢٧).

الأمر الثاني: (من شك في كفرهم): أي شك في كفر من كفره الله ورسوله، ومن حكم الله عليه وحكم عليه رسوله ﷺ بالكفر، فمن شك في كفر الكافر كفر، إذ الواجب على المسلم أن لا يقع في قلبه شيء من التردد أو الشك في كفر من كفره الله، أو كفر من كفره رسول الله ﷺ.

الأمر الثالث: (أو صحح مذهبهم): كأن يقول في شيء من عقائد الكفار الكفرية الناقلة من الملة: هذا فعل صحيح، أو هذا قول صحيح، أو هذا عمل صائب، أو هذا أمر لا شيء فيه، فمن صحح مذهب الكفار أو شيء من عقائدهم الكفرية الناقلة من الملة فهو كافر، فهذه ثلاثة مكفرات ونواقض للملة: عدم تكفير المشركين، أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذاهبهم.



المَتْنُ

«الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر».

الشَّرْحُ

قوله: «الرابع»: أي الناقض الرابع من نواقض الإسلام.

قوله: «من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه»: هذا ناقض من نواقض الإسلام العشرة وهو أن يعتقد الإنسان أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هدي النبي ﷺ، وهذا كفر بالله عز وجل؛ لأن هدي النبي ﷺ وحي نازل من السماء، وهدي غيره ﷺ أمر نابت في الأرض، وشتان بين الثرى والثريا.

وقد كان ﷺ يقول إذا خطب الناس يوم الجمعة: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِ محمد ﷺ»[1]، فهديه صلوات الله وسلامه عليه هو صراط الله المستقيم، ودين الله القويم الذي رضيه الله سبحانه وتعالى لعباده ولا يرضى لهم دينًا سواه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾[الشورى: ٥٢]: أي هذا الوحي الذي نزل عليه ﷺ،

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧).

نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

فهديه ﷺ هو خير الهدي وأتمه وأكمله وأقومه، فمن اعتقد أن هدي غيره ﷺ أكمل من هديه ﷺ فهذا كافر بالله، وخارج من ملة الإسلام.

قوله: «أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر»: أي ومن اعتقد أن حكم غير النبي ﷺ أكمل من حكمه ﷺ فهو كافر بالله، وخارج من ملة الإسلام، وحكمه صلوات الله وسلامه عليه وحي من الله، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

فمن اعتقد أن حكم غير النبي ﷺ خير من حكمه ﷺ فهو كافر بالله؛ لأنه ارتضى حكم الجاهلية، واختاره على حكم الإسلام وحكم النبي ﷺ، فهذا كافر بالله، وكافر برسوله ﷺ، ومؤمن بالطاغوت، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، فهذا من التحاكم إلى الطاغوت وهو كفر بالله؛ لأن العبد لا يكون من أهل لا إله إلا الله ولا يكون من أهل التوحيد إلا إذا كفر بالطاغوت، ولهذا قال الله جل وعلا في الآية التي تلي آية

الكرسي، وآية الكرسي فيها تقرير التوحيد وذكر براهينه[1]، فقال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالكفر بالطاغوت ركن من أركان الاستمساك بـ «لا إله إلا الله» التي هي العروة الوثقى، فمن لم يكفر بالطاغوت ليس من أهل لا إله إلا الله، والذي يفضل حكم غير النبي ﷺ على حكمه ويعتقد أن حكم غيره أحسن من حكمه فهو مفضل لحكم الطاغوت، ومن كان مفضلًا لحكم الطاغوت فهو كافر بالله.

قوله: «كالذي يفضل حكم الطواغيت»: جمع طاغوت وهو مشتق من الطغيان وما تجاوز به العبد حده من متبوع أو معبود أو مطاع.



(١) ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله رسالة قيمة بعنوان: «آية الكرسي وبراهين التوحيد».

المَتْنُ

«الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به كفر».

الشَّرْحُ

قوله: «الخامس»: أي الناقض الخامس من نواقض الإسلام.

قوله: «من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به كفر»: سواء من العقائد الدينية التي هي أصح العقائد وأقومها، أو العبادات الشرعية وهي أكمل العبادات وأحسنها، أو الآداب المرعية وهي أجمل الآداب وأطيبها، فمن أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ أي وقع في قلبه بغضة له وكراهية وعدم حب له فإنه كافر ولو عمل به، أي ولو عمل بهذا الذي أبغضه؛ لأنه بمجرد بغضه لما جاء به الرسول ﷺ فإنه يكفر، وكفره كفر نفاق؛ لأن كفر النفاق كما بين أهل العلم ينقسم إلى أقسام عديدة، منها: بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ، فهذا البغض محبط للأعمال مخرج من الدين.

والمؤمن هو الذي رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، وأما الذي يبغض ما جاء به الرسول ﷺ، أو في قلبه كراهية لشيء مما جاء به الرسول ﷺ فهذا يتنافى مع حقيقة الإيمان وحقيقة الإسلام: الاستسلام لله جل وعلا والرضا بشرعه ودينه جل وعلا.

قوله: «ولو عمل به كفر»: أي ولو عمل بهذا الشيء الذي أبغضه، فإنه يكفر بمجرد وجود البغض له في قلبه.

المَتْنُ

«السادس: من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥، ٦٦]».

الشَّرْحُ

قوله: «السادس»: أي الناقض السادس من نواقض الإسلام.

قوله: «من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه»: أي الذي أعده سبحانه وتعالى لعباده المتقين، فالذي يستهزأ بالدين سواء منه العقائد أو العبادات أو الآداب فإنه بهذا الاستهزاء يكفر، وكذلك من يستهزأ بالثواب، سواء الأمور الدنيوية التي يعجل فيها لعباده المؤمنين بالمثوبة أو ما أعد لهم في الدار الآخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم والنجاة من النار، فمن استهزأ بشيء من ذلك فإنه كافر، سواء استهزأ بدين الله أو شيء منه أو استهزأ بثواب الله الذي أعده لعباده المؤمنين فإنه يكفر بذلك.

قوله: «أو عقابه كفر»: أي العقوبات التي أعدها للكفار أو أعدها للعصاة فإنه بهذه الفعلة يكفر وينتقل من الملة، وهذا أيضًا من كفر النفاق، ومن أوصاف المنافقين، ومن أعمال أهل النفاق.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥، ٦٦]».

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ لا أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الْحَاجِرَةُ وَهُوَ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾»[1].

فقوله: «﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾»: دليل على أن هؤلاء قبل هذا الاستهزاء كانوا على الإيمان وبه كفروا وخرجوا من الملة، أي قد كفرتم بعد أن كنتم من أهل الإيمان، وهذا مما يدعو العاقل إلى الخوف الشديد من نواقض الإسلام، كلمة قالها هؤلاء ثم اعتذروا فقالوا: أردنا أن نقطع عناء الطريق ونُذْهب ملل السفر، ﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، ما قصدنا حقيقة الكلمة، فقال: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فالاستهزاء بالدين أو بالثواب أو بالعقاب هذا من أوصاف النفاق،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٦٩١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٠٤٧).

ومن الأمور التي تُخرج من دين الإسلام؛ لأن هذا الاستهزاء لا يصدر ممن عرف الله سبحانه وتعالى حق المعرفة، وعرف دينه، وعرف شرعه، وعرف ثوابه، وعرف عقابه، فلا يصدر إلا من قلب أصيب بمرض النفاق، والعياذ بالله.



المَتْنُ

«السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]».

الشَّرْحُ

قوله: «السابع»: أي الناقض السابع من نواقض الإسلام.

قوله: «السحر»: وهو عُقد ونفث في تلك العقد وصلة وارتباط بالشياطين وتقرب من الساحر لهم، وكفر بكتاب الله سبحانه وتعالى، وله حقيقة وهو يضر ويؤذي، وله تأثير، فمنه ما قد يقتل ومنه ما قد يمرض، ومنه ما قد يفرق بين المرء وزوجه، قال سبحانه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فيقع بسببه أنواع من المضرات من موت أو فرقة أو قتل أو غير ذلك، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ لأن الأمر كله بيد الله جل وعلا، فالسحر كفر بالله جل وعلا.

قوله: «ومنه الصرف والعطف»: أي من أنواع السحر: الصرف والعطف، وهو بهذه الكلمة يشير إلى أنه أنواع عديدة، ولهذا لما عقد في كتابه (التوحيد) بابًا في السحر والتحذير منه، عقد بعده بابًا في بيان أنواع

السحر؛ لأن السحر أنوع عديدة، وأشار إلى هذا المعنى بقوله: (ومنه الصرف والعطف)، أي أن السحر أنواع عديدة ومن أنواعه الصرف والعطف.

وخص المصنف هذا النوع بالذكر هنا لكثرة وقوعه، وكثره افتتان الناس به، والصرف أي: صرف الإنسان عما يحبه ويميل إليه، والعطف: عطف الإنسان أي إمالته إلى ما لا يحب ولا يرغب فيه، فهذا من السحر، وكثيرًا ما يقع، و يتسلط به السحرة على الناس من هذا الباب: بين الزوجين، بين الشريكين، بين المتعاملين، في محيط التجار، والطلب للربح والكسب للمال، فتحت هذا النوع من السحر يزعم الساحر لمن يرتاده ويأتيه أنه يستطيع أن يستميل إليه الناس ويعطفهم إليه، ومن لا يرغب فيهم يصرفهم عنه، وهذا كفر بالله.

فقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فهذا سحر صرف، أي يصرف الزوجين بعضهما عن بعض ويوجد بينهما العداوة والبغضاء، فهذا من الكفر.

والساحر لا يكون ساحرًا إلا إذا كفر بالله، والسحر من الموبقات المهلكات وهو مما ينقل صاحبه عن الملة، ولهذا ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نواقض الإسلام.

قوله: «فمن فعله»: أي تعاطى السحر وكان من أهله فإنه يكفر بذلك.

قوله: «أو رضي به كفر»: أي ومن رضي بالسحر حتى إن لم يكن ساحرًا فإنه يكفر؛ لأنه رضي الكفر، ومن رضي الكفر كفر، مثل الذي يرضى بعبادة الأصنام، أو يرضى بقول من يقول: إن الله ثالث ثلاثة. أو غير ذلك من الكفريات.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]»: وهذا تنصيص على أن الإنسان إذا باشر السحر وكان من أهله كفر بالله، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: أي فإنك إن تعاطيته وباشرته وفعلته وكنت من أهله تكفر بالله، والمصنف اكتفى بهذا الجزء من الآية مستدلًا به على كفر الساحر وإلا فإن الآية بتمامها مع الآية التي قبلها(١) دلت على كفر الساحر من وجوه سبعة، بينها الشيخ حافظ حكمي بيانًا نافعًا في كتابه «معارج القبول»(٢).



(١) يقصد الشيخ حفظه الله بالآية التي قبلها قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: ١٠١].

(٢) «معارج القبول» (١/ ٣٠٧).

المَتْنُ

«الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]».

الشَّرْحُ

قوله: «الثامن»: أي الناقض الثامن من نواقض الإسلام.

قوله: «مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين»: وهذا لا يكون إلا من شخص كافر بالله، والمراد بالمظاهرة النصرة؛ أي: نصرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين بحيث إذا وقعت حرب بين أهل الإسلام وأهل الكفر يقف في صف أهل الكفر ويناصرهم ويعاونهم، ويكون صفًا واحدًا معهم في الانتصار على أهل الإسلام، فهذا من الكفر بالله تبارك وتعالى.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]»: أي فمن يتولهم منكم فإنه منهم في الكفر بهذا التولي، والمراد به في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾: نصرة الكافر على المسلم عند وقوع حرب بينهما قاصدًا بهذه النصرة ظهور دين الكفار، ويكون محبا بقلبه لانتصار الكفار على المسلمين، وهذا لا يقع من مسلم البتة، فالمسلم لا يحب نصرة الكفار على المسلمين، ولا يجب ظهور

دين المشركين، ولكن يحب ظهور دين الله، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، فالذي يحب ظهور دين الكفار على دين الإسلام ليس من أهل الإسلام.

وثمة فرق بين التولي وبين الموالاة، والله جعل وعلا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فالموالاة هي محبة الكفار ومواداتهم لأجل الدنيا وليس من أجل ظهور دين الكفار ولا رغبة في دينهم، ولا حبًا في ظهور دينهم على دين الإسلام، ولكن لأجل الدنيا، فهذا فسق وهو من كبائر الذنوب وليس كفرًا ناقلًا من الملة، ولهذا خاطب الله سبحانه وتعالى بمن وقع منهم ذلك بوصف الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]»: المراد بالظلم هنا الكفر.



المَتْنُ

«التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر».

الشَّرح

قوله: «التاسع»: أي الناقض التاسع من نواقض الإسلام.

قوله: «من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر»: لأن في هذا تكذيب بشريعة محمد ﷺ التي هي شريعة للعالمين، وقد بُعث ﷺ إليهم أجمعين، وكان من قبله يبعث في قومه خاصة، وهو ﷺ بعث في الناس عامة، كما جاء في «الصحيحين»: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١).

وشريعته ليست لفئة من الناس، أو لقوم دون آخرين، بل هي للناس عامة، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال جل وعلا: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فإذا قال قائل: إن من الناس من يسعه أن يخرج على شريعته بحيث لا تكون شريعة محمد ﷺ شاملة له. فهذا كفر، واستدلال من يقول بذلك

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

من أهل الكفر والضلال بأن الخضر وسعه الخروج عن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فهذا استدلال في غير بابه، بل قال ﷺ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(١)، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كليم الله وهو من أولي العزم من الرسل، ومعه رسالة من رب العالمين ولو كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبع النبي ﷺ، فكيف بأفراد الناس وآحادهم؟! بأن يقال: إن من الناس من يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، فهذا كفر ناقل من ملة الإسلام بلا شك.

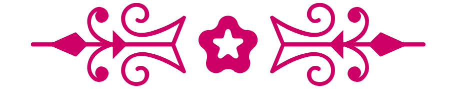
وأما تنظير هؤلاء بأن الخضر وسعه الخروج عن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فهذا استدلال باطل، وإيراد للأمر في غير بابه، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ جواب موسع في رد هذه الشبهة، وهي تثار عند غلاة الطرقية من المتصوفة وأرباب الباطل، فأجاب عن هذه الشبهة بجواب موسع ووافٍ وكافٍ.

ومما قاله في ذلك الموضع رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِمَّا يُبَيِّنُ الْغَلَطَ الَّذِي وَقَعَ لَهُمْ فِي الِاحْتِجَاجِ بِقِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَى مُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ مَبْعُوثًا إِلَى الْخَضِرِ وَلَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَى الْخَضِرِ مُتَابَعَتَهُ وَطَاعَتَهُ؛ بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: إِنَّ الْخَضِرَ قَالَ لَهُ: « يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٤٦٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٤٢١)، وانظر: «الإرواء» (٦/ ٣٤).

مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ »[١]، وَذَلِكَ أَنَّ دَعْوَةَ مُوسَى كَانَتْ خَاصَّةً.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: فِيمَا فَضَّلَهُ اللهُ بِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْت إلَى النَّاسِ عَامَّةً »[٢] فَدَعْوَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ الْعِبَادِ لَيْسَ لِأَحَدِ الْخُرُوجُ عَنْ مُتَابَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَلَا اسْتِغْنَاءَ عَنْ رِسَالَتِهِ كَمَا سَاغَ لِلْخَضِرِ الْخُرُوجُ عَنْ مُتَابَعَةِ مُوسَى وَطَاعَتِهِ مُسْتَغْنِيًا عَنْهُ بِمَا عَلِمَهُ اللهُ. وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ الْإِسْلَامُ أَنْ يَقُولَ لِمُحَمَّدِ: إنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ وَمَنْ سَوَّغَ هَذَا أَوْ اعْتَقَدَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْخَلْقِ: الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ أَوْ غَيْرِهِمْ لَهُ الْخُرُوجُ عَنْ دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمُتَابَعَتِهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَدَلَائِلُ هَذَا مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ هُنَا»[٣].



(١) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٢٥).



المَتْنُ

«العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢]».

الشَّرْح

قوله: «العاشر»: أي هذا الناقض العاشر من نواقض الإسلام، والأخير من النواقض التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: «الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به»: أي يكون معرضا تمامًا عن دين الله، وهذا من أنواع الكفر ويسميه أهل العلم كفر الإعراض، وقال أهل العلم في بيانه: إذا عدم في الإنسان الأصل الذي يدخل به في الإسلام وأعرض عنه بالكلية لا يتعلم ولا يعمل، كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة»(١).

فمن كانت هذه حالة فهو كافر، وكفره بالله جل وعلا كفر إعراض، وهذا هو المراد بكفر الإعراض.

وأما الذي إعراضه بترك بعض الواجبات مما لا يصل به إلى حد

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٨).

الكفر، أو ترك المستحبات فليس داخلًا في هذا الباب، وإنما المراد كما ذكرنا وهو أن يُعدم في الإنسان الأصل الذي يكون به مسلمًا، ويعرض عن هذا تمامًا، فلا يتعلم ولا يعمل ولا يقبل ولا يصغي، فهذا كفره كفر إعراض.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ **[السجدة: ٢٢]: فقوله:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾**»**: الاستفهام هنا بمعنى النفي أي لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها.



المتن

«ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه.

نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

الشرح

قوله: «ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف»: أي كلهم سواء يكفرون، سواء وقع في هذه النواقض ودخل فيها بسبب الخوف أو دخل فيها بسبب الهزل والمزاح واللهو واللعب، أو كان جادًا، فلا فرق في جميع هذه النواقض.

قوله: «إلا المكره»: أي إذا وصل الأمر إلى حد الإكراه بأن أكره على الكفر وفعله أو قاله فإن الله ﷻ لا يعذبه على ذلك ولا يكون بذلك من الكافرين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فإذا بلغ الأمر مبلغ الإكراه، والإكراه لا يكون إلا على القول والفعل وأما العقيدة التي في القلب فليس عليها إكراه؛ لأنه لا يُدرى ماذا في قلب الإنسان وما يكون في صدره، فلو أكره الإنسان إلى أن يقول كلمة الكفر، أو أكره الإنسان أن يفعل الكفر، فقال

الكفر أو فعله تحت وطأة الإكراه وتحت سوط الإكراه ففعله أو قاله فإنه لا يكفر بذلك.

ودليل الإكراه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فلم يستثن الله جل وعلا إلا المكره.

قوله: «ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره»: للمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة وبيانها والاستدلال لها كلام عظيم النفع كبير الفائدة ختم بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه (كشف الشبهات).

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا. فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس، ويقولون هذا حق، ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق، ولكنا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه

فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولاهما: قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفًا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأخذ أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧]، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفًا أو مداراة أو مشحة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره، فالآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦]، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[النحل: ١٠٧]، فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[1].

قوله: «وكلها من أعظم ما يكون خطرًا»: أي فكل هذه النواقض العشرة من أعظم ما يكون خطرًا، فهي أخطر الأمور، وأضر الأشياء، وأعظم الموبقات، وأكبر المهلكات.

قوله: «وأكثر ما يكون وقوعًا»: أي اجتمع فيها أمران:

الأمر الأول: أنها أخطر ما يكون.

الأمر الثاني: أنها أكثر ما يكون وقوعًا، فتقع كثيرًا.

فإذا علمت أنها أخطر ما يكون على الإنسان، وأنها أكثر ما يكون وقوعًا في الناس فهذا يستجلب الخوف من هذه النواقض، ولهذا قال: فينبغي للمسلم أن يحذرها.

---

(١) «كشف الشبهات» (ص٤٤).

قوله: «فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه»: وللمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (التوحيد) باب عظيم نافع مهم للغاية بعنوان: باب الخوف من الشرك، وأورد فيه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ونقل عن إبراهيم التيمي قوله: «من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم»(١).

فإذا كان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إمام الحنفاء الذي حطم الأصنام بيده خاف وقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]، فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ!.

ولذلك إذا علم المسلم خطورة هذه الأمور، وأنها أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا فهذا يجلب للقلب الخوف من هذه النواقض، وشدة الحذر منها.

قوله: «نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه»: ختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الدعوة العظيمة المباركة، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، فهذه العشرة المذكورة هي أعظم موجبات غضب الله.

قوله: «وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم»: وكذلك ختم بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

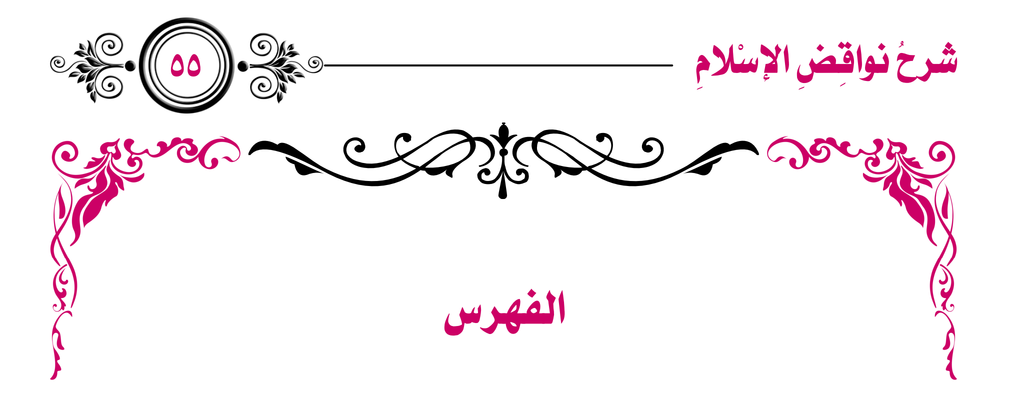
---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧).

وبهذا نصل إلى ختام الكلام على هذه الرسالة القيمة (نواقض الإسلام) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يعيذنا أجمعين من نواقض الإسلام، وأن يحفظ لنا ديننا، اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشانا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، اللهم إنا نعوذ بك من الكفر ومن الفقر، اللهم لك أسلمنا وبك آمنا وعليك توكلنا وإليك أنبنا وبك خاصمنا، نعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا، فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.





الفهرس

شرح

الأصول الستة

تصنيف شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

شرحها

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار الفرقان للنشر والتوزيع

ISBN 978-9931-616-57-3



